السّرد النّسويّ الجزائريّ وتوظيفه للشّخصيّة الذّكوريّة – رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي أنموذجا-

الباحثة: نوال مساعد

جامعة المسيلة

– الملخص:
الرّواية هي نوع من أنواع النّثر الفنّي والسّرد الأدبيّ الذي انتشر في الآونة الأخيرة انتشارا ملفتاً للانتباه، نظرا لاهتمامه بواقع المجتمعات وتصويره لقضاياها المختلفة والمتنوّعة، حيث يعترف النّقاد بأهميّة هذا النّوع من الكتابة، ويجلّون الدّور البارز الذي لعبته الرّواية العربيّة والمغاربيّة والجزائريّة في تنوير المجتمعات ومعالجة مشاكلها الكامنة وراء الأسوار وتحت السّقوف وداخل النّفوس البشريّة المرهقة وفي أعماق القلوب المتيّمة عشقًا وخجلاً.
تقوم الرّواية كغيرها من أنواع القصّ الأخرى على مجموعة من الأحداث والأفعال التي تحرّكها الشّخصيّات الرّئيسيّة والثّانويّة داخل الفضاء الرّوائي، حيث تتفاعل هذه الشّخصيات فيما بينها مشيّدة معالم الرّواية، ومن خلال الصّراع الذي ينشأ بين شخوص الرّواية تحصل المتعة عند القارئ وتصل لذّة المتلّقي إلى أعلى مستوياتها.
والشّخصيّة أنثويّة كانت أم ذكوريّة هي من أهمّ مكونات السّرد الرّوائي الذي انتشر مؤخّرا في الدّول العربيّة عامّة وفي الجزائر خاصّة، حيث ظهرت أقلام نسويّة جزائريّة جريئة اكتسحت السّاحة الأدبيّة في الجزائر، ووصلت إلى حدود العالمية، معلنةً عن ميلاد رواية نسويّة جزائريّة لها نفس المواصفات التي تميّزت بها النّصوص الرّوائيّة المتألّقة لدى العناصر الذّكوريّة.
وقد جاءت هذه الكتابات النّسويّة الجزائريّة للتّعبير عن القضايا التي تهمّ المجتمعات والأفراد؛ القضايا النّفسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة والتّاريخية والسّياسيّة وغيرها.. ومحاولة منها للغوص في خبايا الأفراد وكشف مكبوتات النفوس وصبر أغوار حياة الإنسان وتصوير حالاته وأحواله وأفراحه وأقراحه وعاداته وتقاليده ومشاكله وظروفه وطرق تواصله مع غيره.
وتأتي رواية "ذاكرة الجسد" للرّوائيّة الجزائريّة "أحلام مستغانمي" في طليعة الأعمال الأدبيّة الجزائريّة والعربيّة بل والعالميّة؛ حيث وظّفت هذه الأديبة في روايتها مجموعة من الشّخصيّات الجزائريّة والعربيّة: أنثويّة وذكوريّة، وتجلّت خيوط السّرد في هذه الرّواية على لسان البطل الرّئيسيّ الذي قام بدور الرّاوي تارة وبدور المحاور تارة ثانيّة وبدور الواصف تارة أخرى...
وقد قامت الرّوائيّة باستدعاء شخصيّاتها، لتصوّر لنا من خلال بنيتها السّرديّة واقعًا صعبًا وظروفًا قاهرةً مرّت بها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسيّ وحتّى أثناء الاستقلال وبعده. فالرّواية المذكورة بقدر ما هي قصّة حبّ من طرف واحد إلاّ أنّه يمكن اعتبارها سجلاّ حافلا بالأحداث التي تؤرّخ لماضٍ لا يمكن نسيانه أو التّنكّر له.
فكيف كانت نظرة أحلام/ الأنثى، أحلام/ المرأة، أحلام/الرّوائيّة، للرّجل/ الذّكَر، للرّجل/ البطل، للرّجل/ الشّخصيّة الرّوائيّة!؟ وبأيّ شكل صوّرته!؟ وهل وصلت في تجسيده تجسيدًا ماديّا لمستوى يصل إلى حقيقته!؟ وإلى أيّ مدى استطاعت هذه الأنثى أن تصف الذّكَر وصفًا معنويًا يليق بسلطانه!؟

الكلمات المفتاحية:
الرواية الجزائرية، السّرد النّسويّ، أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، الشّخصيّة الذكوريّة.

Summary of the Contribution:

The novel is a form of prose and literary narration that is widely spread in the recent times since it deals with real life issues and the deep concerns of the society. The critics emphasize the importance of this form of writing.

They also appreciate the critical role played by the Arab, the Algerian and the Maghrebin novel in enlightening the societies and trying to discuss and solve their problems, especially those problems that were before considered as taboos imprisoned in the human souls.

Like the other forms of narration, the novel is based on events and actions done by the major character and the minor ones. The interaction between them draws the lines of the novel. Through the conflict between the characters of the novel, the reader finds a great deal of pleasure and a motivation to continue reading till the end of the novel.

Whether it is feminist or masculine, the novel character is considered as a main element in the novelist narration which has widely spread in the Arab World and particularly in Algeria where we can count many defiant feminist novelists who become famous all over the world. They have produced many works that have the same literary value as those written by male novelists.

These feminist works deal with the deep concerns of our society and its members such as psychological, social, cultural, historical and political problems..etc. It is also an attempt to dive in the soul of Man and trying to know its secrets and depicting its joy, sadness, traditions, problems, circumstances and the way he/she communicates with others.

Key Words:

The Algerian novel - the feminist narration - Ahlem Mosteghanemi - Body's Memory - The masculine personality.

تمهيد:

تتفاعل شخصيات رواية " ذاكرة الجسد" مع بعضها البعض، ومع العالم من حولها، لتكشف لنا النقاب عن مجموعة من القضايا، والعادات، والتقاليد والأحاسيس، والمشاعر المتباينة بين الحبّ والكره والبغض والغضب والانتظار والتّرقب والندم والملل والانطواء والسكينة والرّاحة والدفء والاطمئنان...

وما يهمّنا- من كل ما سبق ذكره- هو نظرة المرأة الكاتبة لعنصر الذكور، أي:كيف وظفت الروائية الجزائرية " أحلام مستغانمي" الشخصيات الذكورية في روايتها الشهيرة "ذاكرة الجسد".

وللإجابة على هذا السؤال، يجب أن نخصّ كل شخصية ذكورية بما يكفي من التحليل والوصف، ومهما كانت قراءتنا للرواية فلن نصل إلى قراءة حقيقية للشخصيات الذكورية، فالأمر معقد جدا، والعلاقات والظروف متشابكة، والمناهج عديدة والأهم من كل ذلك هو أن الأذواق مختلفة، والنقد لغة خاصة لا يتشابه فيها باحثان...

وقبل التطرق لدراسة الشخصيات الذكورية في رواية " ذاكرة الجسد" للكاتبة " أحلام مستغانمي"، يجب

أن نعرّج على بعض العناصر الهامة التي يجب أن نلقي عليها بعضا من الضوء، بتحديد مفاهيمها بشكل موجز.

أولا: السّرد النّسويّ

1- مفهوم السّرد النسّويّ:

السّرد هو نقل الوقائع والأحداث بأسلوب راقٍ، وبشكل متسلسل ومتتابع، بواسطة الشخصيات في زمان ومكان معلومين، يتخلل ذلك صراع بين الشخصيات يصل إلى قمّة ذروته، فيحدث نتيجة لذلك أزمة في النص أو أزمات، تنتهي

بانفراج وحلّ، ونحصل في الأخير على نهاية معينة: سعيدة أو حزينة أو مفتوحة، حسب الكاتب وحسب شخصياته التي وظفها داخل نصّه، قصة كان أو رواية أو غير ذلك من أنواع النثر المعروفة والمنتشرة في العالم عموما وفي العالم العربي خصوصا.

لقد تعددت الأصوات السردية عبر العالم وفي الوطن العربي، ولم تعد مقتصرة على الذكور فقط، بل صار للنساء- أيضا- صوت مسموع من خلال كتاباتهن، خاصة في مجال الرواية الذي عرف ازدهارا في عصرنا الحالي على يد أقلام روائية جادة، حيث نجد" صوت الذاكرة واضح في السرد النسائي العربي، وقد منح هذا الصوت للسرد العربي إمكانية التنويع والتكسير في زمن السرد، وإمكانية إدراج أصوات سردية متخللة كالبوح والاعتراف والتدفق الشعوري والانتقاد والسخرية والحكي السير ذاتي"[1].

ويعود الحضور القوي لصوت السارد في الكتابة السّردية النّسوية إلى تجاوزها لمواقف الخجل ودور السكينة التي فرضت عليها من طرف المجتمع وظروفه الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والدينية والفكرية، وهو ما أدى إلى شنّها حربا طاحنة ضد هذه القيود، ومحاولتها إيجاد فضاء يحويها ويحوي كتاباتها.

لقد صار صوتها" عالٍ واضح وصريح، ويذهب رأسا إلى مراده. ويظهر مشاركته الفعلية في عملية السرد وتركيب الأحداث وتنظيمها، ويعلن كذلك انخراطه الصّريح في ما يجري في الحياة، فإنه لا يخفي كذلك قدرته على مساءلة العالم الدفينة للنفس البشرية والبحث عن الأسباب الحقيقية الكامنة خلف السلوك الاجتماعي للرجل وللمرأة على حد سواء.. إنّ صوت المرأة الإبداعي لا يهمل القضايا الكبرى التي ترزخ تحت وطأتها الأمة العربية اليوم سواء أكانت قضايا اجتماعية.. أو كانت قضايا سياسية وحقوقية"[2]

2- جماليات السّرد النّسويّ:

من الجماليات الفنية في السرد النسائي عموما والسّرد النسائي العربي بشكل خاص هو قدرة المرأة على تفكيك العالم الداخلية، ومعرفة دواخلها ومكنوناتها، وبالتالي تشريحها وكشف مخزونها الدفين، فصارت بذلك شبيهة بعالمة نفسية، في استطاعتها الولوج إلى المجهول والغائب، معتمدة على أحلام النفس البشرية وتركيبها وتأويلاتها، والميول الإنساني والرغبات والمظاهر السلوكية من أقوال وأفعال.

ثانيا: الرّواية

1- مفهوم الرّواية:

تعدّدت مفاهيم الرّواية؛ ولكنّ كلّ المفاهيم تصبّ في قالب واحد، أي أنّ الرواية هي جنس أدبي، ونوع من أنواع النثر الأدبي المطوّل. ويمكننا تتبّع التعاريف التالية لنصل إلى مفهوم واضح لها.

من النّقاد من قال بأنّ الرّواية هي "سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد. والرّواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البورجوازية وما صحبها من تحرّر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية"[3].

ومنهم من عرّفها على أنها " تجربة أدبية تصوّر بالنثر حياة مجموعة من الشخصيات، تتفاعل

مجتمعة لتؤلف إطار عَالم متخيل، غير أن هذا العالم المتخيل الذي شكله الكاتب ينبغي أن يكون قريبا مما يحدث في الواقع الذي يعيش فيه؛ أي أن حياة الشخصيات في الرواية يجب أن تكون ممكنة الحدوث في واقع الكاتب. والحياة الروائية حياة ممتدة في الزمان إلى حد ما.. فقد تمتد إلى سنة أو عدة سنوات. ولا شك أن هذا الامتداد الزمني يؤدي إلى توسع في التصوير.. وبالتالي إلى اتساع حجم الرواية، التي تُعد أطول الأشكال القصصية حجما"[4].

أما النقاد الغرب فقد كتب أحدهم معرّفا: " الرّواية هي شكل شائع جدا ومتوغل في المعيش اليومي وله كذلك من الانتشار ما قد يجعل التساؤل عن ماهية السّرد غير ذي جدوى"[5].

2- أهمية الرّواية في الدّراسات الأدبية:

من الوظائف التي تؤدّيها الرّواية في مجال الأدب؛ هي أنه يمكن اعتبارها تعبيرا عن ذات الكاتب" بل يمكن أن نعدّها محاولة لاكتشاف وعيه. وبالتالي، فإن المتلقي يختبر التجربة التي عاشها الكاتب ذاته، وبقدر ما يزداد الشبه بين التجربتين يتوحد المتلقي بالعمل الأدبي"[6].

الرّواية تصف الواقع الإنساني، بأعمق وأدقّ أبعاده، وتصفه في إطاره التاريخي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والدّيني والفكري والأخلاقي بشكل شامل، فنستطيع من خلال الرّواية أن نتعرّف إلى واقع مجتمع ما أكثر مما نستطيع أن نتعرّف عليه من خلال دراسات أخرى، فالرّواية" يمكن تحليلها بوصفها ظاهرة اجتماعية- تخييلية. فمن المعروف أن ظهور الرواية في المجتمع العربي خلال القرن المنصرم مرتبط بالتطورات الاجتماعية والاقتصادية. وليس غريبا أن لعدد الروايات وسعة انتشارها علاقة طردية بالأزمات التي مرّت بها المجتمعات العربية"[7].

كما أن الرواية لا تقف عند حدود وصف الواقع، بل" تتعداه إلى تغييره، وذلك من خلال تغيير الوعي لدى المتلقّي. وليس هذا فحسب، بل هي تسهم غالبا في صنع وعي جديد.. ومن هنا، يمكن أن نعدّ الرواية حقلاً بديلاً يبحث في سلوك الإنسان بوصفه ظاهرة، أو نتاجًا اجتماعيا يعكس الواقع المعيش، وتعبيرا عن مكنونات الكاتب الذي ينفس عن أزماته ويتسامى على ذاته وواقعه، ونظام اتصال بين الكاتب والمتلقي، فيؤثر حينئذٍ في وعي المتلقّي"[8].

ثالثا: الشخصية الرّوائية

1- مفهوم الشخصية الرّوائية:

الشخصية هي من أهم العناصر التي تبني العمل الأدبي الرّوائي؛ فهي التي تفعّل الحدث السّردي، وتسير به إلى نقطة معيّنة، والشخصية عادة ما تظهر بعدة أوجه، كل وجه له أثره في البنية السّردية، وفي خلق مستويات السّرد حسب الدّور الذي يسند إليها، فقد تكون شخصية رئيسية وبؤرة الحدث الرّئيس، أو ثانوية تسهم بدورها في الحكاية كعنصر من عناصرها.

ولا يمكن بأية حال من الأحوال فصل عنصر الشخصية الروائية عن غيرها من العناصر داخل العمل الروائي؛ فهو" يرتبط بالحدث، ويجسم الفكرة التي تنطق بها الرّواية وعن طريق تصرفات الشخصيات وعلاقاتها المتشابكة تنم الأحداث، كما أن الحدث بدوره يؤثر في الشخصيات، ومن ثمة تكتسي أهميتها في العمل الروائي"[9].

ولا يختلف اثنان في أنّ الشخصيات الرّوائية على اختلاف أجناسها هي المحركة للأحداث داخل الفضاء الروائي، وأنّ لكلّ كاتب روائيّ شخوصه التي تحرّك أحداث ووقائع السّرد لديه، فهي" التي تنهض بدور الصراع داخل العمل السردي، بل إن الشخصية تكاد تكون العلامة الدالة على الأجناس السّردية من بين أجناس الأدب الأخرى، فهي واسطة العقد بين العناصر المكونة للعمل الرّوائي"[10].

وقد ميّز النقاد المعاصرون نوعين أساسيين من الشخصيات في أيّ عمل روائيّ؛ هما: الشخصيات الأنثوية، والشخصيات الذكورية، فهما عنصران متكاملان داخل الفضاء الرّوائيّ، ومن تفاعلهما تحصل لذة المتعة لدى المتلقّي والكاتب معا. ولكنّ السؤالين الهامّين اللّذين يطفوان على السّاحة النقدية دائما– في أيّ إنتاج روائيّ جديد– هما:

– كيف صوّر الرجل الرّوائيّ شخصياته الأنثوية!؟

– وكيف صوّرت المرأة الرّوائية شخصياتها الذّكورية!؟

تشعّبت الدّراسات النقدية في إجابتها على هذين السؤالين، ونُشرت العديد من المقالات والكتب والمجلات في هذا الشأن، وتعدّدت المناهج التي استخدمها النقاد في دراساتهم لهذه المسألة الهامة. أمّا نحن فسنحاول الإجابة على السّؤال الثاني الذي هو موضوع دراستنا هذه، حيث سنحاول تسليط الضوء على أهم الشخصيات الذكوية التي وظفتها الكاتبة "أحلام مستغانمي" في روايتها "ذاكرة الجسد"، وذلك من خلال قراءتها ومعرفة مكنوناتها والظروف المحيطة بها وعلاقاتها بمن حولها من شخصيات أخرى ، كل ذلك حسب توظيفها من طرف الروائية.

2– الشخصيات الذكورية في رواية "ذاكرة الجسد" ل"أحلام مستغانمي":

وظّفت الرّوائية الجزائرية" أحلام مستغانمي" في روايتها" ذاكرة الجسد" مجموعة لابأس بها من الشخصيات الذكورية، على اختلاف السّنّ، والعمل، والهواية، والهويّة، والانتماء، والميولات، والرّغبات، والأخلاق، والصفات الجسدية والنفسية...

– شخصية الأب: المناضل/ الحنون

تأتي في مقدمة الشخصيات الذكورية التي وظفتها الكاتبة في روايتها؛ شخصية الأب(سي الطاهر). هذا الملاك الطاهر الذي رحل مبكرا إلى غير عودة، حتى أنه لم يتمتّع برؤية فلذة كبده تكبر بين يديه. إنه رمز للانضباط واحترام القوانين، رمز للهيبة والنضال، رمز للابتسامة الغامضة التي كانت تعطي تفسيرا مختلفا لملامحه كل مرة. لقد "كان رجلا يقدّس العلم والمعرفة، ويعشق العربيّة، ويحلم بجزائر لا علاقة لها بالخرافات والعادات البالية التي أرهقت جيله وقضت عليه"[11].

تورد الكاتبة مقطعا سرديا فيه وصف لهذا الأب المناضل/ الحنون؛ الذي قدّم نفسه للوطن، وتخلّى في سبيل حرية وطنه وشعبه عن أسرته وعن دفء العائلة، فهو عندما جاء يتفقّد البطل قبل سفره بساعة، وضع في جيبه ورقة صغيرة وبعض الأوراق النقدية، وقال وهو ينحني عليه وكأنه يودّعه سرًّا:" لقد وضعت في جيبك عنوان العائلة في تونس وشيئًا من الدراهم "[12] . وأضاف:" لو قُدّر لك أن تصل إلى هناك..

أتمنى أن تذهب إلى زيارتهم حيت تشفى وسلّم هذا المبلغ إلى(أمّا) لتشتري به هدية للصغيرة، وأودّ أيضا أن تقوم بتسجيلها في دار البلدية لو استطعت ذلك.. فقد يمرّ وقت طويل قبل أن أتمكن من زيارتهم.."[13].

وتظهر مشاعر الأبوة في أسمى معانيها؛ صادقة، مفعمة بسيل من الحبّ والحنان والعطف والاشتياق عندما" عاد بعد لحظات وكأنه نسي شيئًا ليضيف شبه مرتبك وهو يلفظ ذلك الاسم لأول مرة.. (لقد اخترت لها هذا الاسم... سجّلها متى استطعت ذلك وقبّلها عنّي.. وسلّم كثيرا على(أمّا))"[14].

(سي الطاهر)؛ هذا المجاهد الفذّ والقائد المحنّك، هو أبٌ أيضا، والآباء دائما متشابهون. إنهم رجال ضعفاء، يحنون ويشتاقون، وقد يبكون، ولكن في حدود الحياء، وسرًّا دائما. فليس من حقّ الرموز أن تبكي شوقا.

لقد تميّز حضور الأب(سي الطاهر) كما صورته الروائية بالطابع الإيجابي، ليشمل كل من حوله، إذ تركت إيجابيته هذه آثارها على الصعيدين الحسّي والمعنوي- النفسي على المحيطين به. تظهر شخصيته القوية في هذا المقطع الذي أوردته الكاتبة على لسان البطل "خالد" حيث يقول:" مازلت أذكر عناد سي الطاهر وقراراته النهائية دائما، التي لا يمكن لأحد أن يزيحه عنها.

وقتها كنت أجد في تلك المواقف شيئا من الديكتاتورية، وغرور القائد. ثمّ مع الزمن، أدركت أنه كان لا بدّ للثورة في أيامها الأولى من رجالٍ مثل سي الطاهر، بذلك العناد، وتلك الثقة المطلقة بالنفس، حتى يفرضوا رأيهم وسلطتهم على الآخرين، ليس حبّا بالجاه والسلطة، إنما للمّ شمل الثورة وعدم ترك مجال للخلافات والاعتبارات الشخصية، وحتى لا تموت تلك الشعلة الأولى وتبعثرها الرياح"[15].

- شخصية الأخ: المعلّم/ الفقير

تتمثل شخصية الأخ في شخصية "حسان"؛ وهو الأخ الأصغر لبطل الرواية "خالد"، يشتغل أستاذا لمادة اللغة العربية في الطور الثانوي، ويعيش مع زوجته "عتيقة" وأبنائه الستّة في بيت فقير من كل الظروف الملائمة لحياة كريمة، يؤدي صلاته في المسجد ويحلم بالحصول على جواز سفر لتأدية فريضة الحج، ويتمنى الحصول على ثلاجة...

يعيش "حسان" في قسنطينة على هامش الحياة، ولكنه يستمر في البحث عن وظيفة أخرى، لأنه مقتنع بأن وظيفة التعليم في الجزائر لن توصله إلى حياة أفضل،" فَبِمَ يمكن أن يحلم أستاذ للعربية يقضي يومه في شرح النصوص الأدبية، وسرد سيرة الكتاب والشعراء القدامى على تلاميذه.. وتصحيح أخطائهم النحوية والإنشائية، ولا يجد متّسعًا من الوقت- أو الجرأة- لشرح ما كان يحدث أمامه، وتصحيح أخطاء أكبر ترتكب على مرأى منه باسم كلمات خرجت فجأة من اللّغة، لتدخل قاموس الشعارات والمزايدات؟

كان في أعماق حسّان مرارة غامضة تبدو على كلّ تفاصيل حياته. ولكنّه كان يحتفظ بها لنفسه"[16].

عاش "حسّان" حياة فقيرة، يحلم للوصول، ولكنه مقطوع الجناحين، فلا مال ولا جاه ولا سلطة، حتى أنه مات وحيدا برصاصة طائشة، تاركا

زوجة وأولادا ستّة، في ظروف قاسية، فلا هو بتحقيق أحلامه ولا هو بالعيش الكريم ولا هو بموت مريح.

– شخصية العم: الوطنيّ/ النبيل

(السي الشريف) هو ما بقي من ذاكرة الجزائر/قسنطينة؛ رجل أحبّه بطل الرّواية "خالد"، رجل كان فيه من هيبة قسنطينة وحضورها" شيء من الجزائر العريقة وذاكرتها، شيء من سي الطاهر، من صوته وطلته.. وكان في أعماقه شيء نقيّ لم يلوّث بعد برغم كل شيء. ولكن حتى متى"[17].

لقد خاف البطل أن يتسلّل إلى (سي الشريف) شيء من العفن ذات يوم، كما خاف على ذلك الاسم الكبير الذي يحمله إرثا من (سي الطاهر) من التدنيس. إنه محاط بالذباب وبقذارة المرحلة.

ولكن البطل اكتشف أخيرا في زيارته لبيت (السي الشريف) وأثناء تلك السهرة بمعية بعض الشخصيات الطفيلية بأن هذا الأخير قد اختار بحيرته العكرة وانتهى الأمر، وأكبر دليل على ذلك قبوله زواج ابنة أخيه من ذلك العسكري الذي تعرّف عليه البطل في بيت (السي الشريف)، فكان هذا الزواج الذي أقيمت حفلته في قسنطينة زواج مصلحة لا غبار عليه.

– شخصية الفلسطينيّ: الفدائيّ/الشاعر

من الشخصيات الذكورية التي وظفتها الكاتبة " أحلام مستغانمي" في روايتها "ذاكرة الجسد" شخصية الشاب الفلسطيني "زياد"؛ الذي عاش في الجزائر مدة من الزمن قبل أن يغادرها متوجها إلى بيروت. كان "زياد" شاعرا مجيدا وقد نشر ديوانين، ولم يكن مستقرا في أرض واحدة، فقد كان كثير التنقل، وكأنه لا أرض له...

تصف الكاتبة هذا الشاعر الفلسطيني على لسان البطل "خالد" فتقول:".. مازال شعره مرتّبا بفوضوية مهذبة. وقميصه المتمّرد الذي لم يتعوّد يوما على ربطة عنق، مفتوحا دائما بزرّ أو زرّين. وصوته المميّز دفئا وحزنا، يوهمك أنه يقرأ شعرا، حتى عندما يقول أشياء عادية. فيبدو وكأنه شاعر أضاع طريقه وأنه يوجد خطأ حيث هو.

في كل مدينة قابلته فيها، شعرت أنه لم يصل بعد إلى وجهته النهائية، وأنّه يعيش على أهبة سفر.

كان حتى عندما يجلس على كرسيّ يبدو جالسا على حقائبه. لم يكن يوما مرتاحا حيث كان، وكأن المدن التي يسكنها محطّات ينتظر فيها قطارا لا يدري متى يأتي"[18].

لم يستطع " زياد " أن يعلق قلبه بامرأة ما، لأنه كان قد نذر نفسه للوطن وباع نفسه للآخرة. إنه رمز للتحدي والشجاعة ومواجهة الطغيان، سبقته نفسه إلى القبر تاركا وراءه قصائده التي أفرغ فيها كل شحناته وهواجسه. مات "زياد" ولكن القضية الفلسطينة لم تمت بعد.

– شخصية البطل:الرّسّام/ العاشق

بطل رواية "ذاكرة الجسد" هو الرّسّام "خالد" الذي نستطيع أن نطلق عليه– في هذه الرواية– ما يسمّى في مجال النقد المعاصر السارد المشارك؛ الذي " يمثل صوت الشخصية القصصية. يحكي هواجسها ووقائعها وخصوصا الاسترجاعات والاستذكارات التي تتوسط وحدتين حكائيتين ومتواليتين سرديتين. متوالية"

الحدث الإخباري" و" الحدث الختامي". وهما معا يكملان القصة. إن صوت السارد المشارك وصوت الشخصية القصصية في آن يعتبران صوت الذاكرة الذي يضيء النص القصصي من خلال المقارنة بين الحاضر والماضي، والقيم المثلى، والقيم المستحدثة الطارئة، وتبدل السلوك العام والخاص للناس والمجتمع"[19].

ويعدّ" مكونا سرديا فريدا من نوعه لاعتبارات عدة، يتعالق جانب منها بمكانته المحورية والمفصلية بداخل بنية المنظومة السردية قديمها وحديثها.. ويتعلق جانب آخر بمستويات التواصل مع العالم الخارجي، أي خارج الحدود الإقليمية للبنية إن استقام التعبير"[20].

يلتحق "خالد" بالثورة في الشهر الثالث ليتمه، والثورة تدخل عامها الثاني، ويجد في القائد (سي الطاهر) تعويضا عن الأب المفقود على المستوى النفسي، سي الطاهر كان الصورة المثلى للأب في نظر "خالد" الذي يعاني من فقدان حنان الأم والأب أيضا. وتربطه بعد الاستقلال، بعد سفره إلى باريس وإقامته معرضا للوحاته علاقة حبّ بابنة (سي الطاهر)، و"لكنه حبّ خاص أشبه ما يكون بالحب العذري، وهو يعترف أنها زلزال غير مجرى حياته"[21].

[1] – محمد معتصم: المرأة والسرد، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2004، ص: 12.

[2] – المرجع نفسه، ص: 10.

[3] – إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط1، 1986، ص: 176.

[4] – طه وادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1994، ص: 17.

[5] – جون ميشال آدم: السّرد، ترجمة: أحمد السودري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت (لبنان)، ط1، 2015، ص: 21.

[6] – عدنان علي الشريم: الأب في الرّواية العربية المعاصرة، تقديم: خليل الشيخ، عالم الكتب الحديث، إربد(الأردن)، ط1، 2008، ص: 12.

[7] – المرجع نفسه، ص:12.

[8] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[9] – صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق، الجزائر، ط2، 2009، ص:378.

[10] – محمد حسين أبو الحسن: الشكل الروائي والتراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2012، ص: 161.

[11] – ذاكرة الجسد: أحلام مستغانمي، دار الآداب ، بيروت– لبنان– ط 26، 2010، ص: 105.

[12] – الرّواية، ص: 36.

[13] – الرّواية، الصفحة نفسها.

[14] – الرّواية، الصفحة نفسها.

[15] – الرّواية، ص: 341.

[16] – الرّواية، ص:301/300.

[17] – الرّواية، ص:232.

[18] – الرّواية، ص: 195.

[19] – محمد معتصم: المرأة والسرد، ص: 242.

[20] – بوسكين مجاهد: ديناميكية وجمالية التلقي في الرواية الجزائرية المعاصرة– مقاربة في التلقي الداخلي لرواية " اعترافات أسكرام" ل"عز الدين ميهوبي"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف الأستاذ الدكتور: محمد بشير بويجرة، كلية الأدب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران (1) أحمد بن بلة، 2016/2015، ص:209.

[21] – صالح مفقودة: رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي في ضوء التحليل النفسي، مجموع محاضرات الملتقى الدولي الحادي عشر للروايو عبد الحميد بن هدوقة المنعقد أيام 18/17/16 ديسمبر 2008، مؤسسة الفانوس، برج بوعريريج، الجزائر، 2008 ،ص:163